سلسلة الرسائل والبحوث العلمية المحكمة (١٣)

البيان المحكم
في
حكم الملتزم

تأليف
د . عبد الرحمن بن عثمان الجلعود
الأستاذ المشارك بقسم الثقافة الإسلامية
كلية التربية - جامعة الملك سعود

دار كنوز إشبيليا
للنشر والتوزيع

ⓒ دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الجلعود، عبدالرحمن عثمان

البيان المحكم في حكم الملتزم/ عبدالرحمن عثمان الجلعود -

الرياض ١٤٣٠هـ

٩٢ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢-٦٥-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨

١- الكعبة ٢- الملتزم ٣- الأدعية والأوراد أ- العنوان

ديوي ٢١٥,١ ١٤٣٠/٢٣٦٦

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٢٣٦٦

ردمك: ٢-٦٥-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م

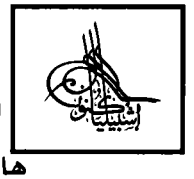

دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨- ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

E-mail: eshbelia@hotmail.com

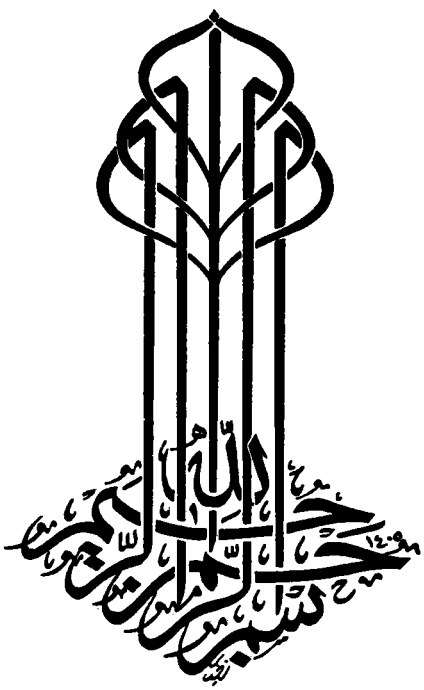
بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليما كثيرًا وبعد.

فإن الله تعالى قد خلق الخلق لعبادته وطاعته، فمن أجل ذلك أنزل الكتب، وأرسل الرسل لإقامة الحجة على الخلق لبيان أن العبادة لا تكون إلا له وحده سبحانه، فلا يجوز أن يصرف منها شيء لغيره، وهذه العبادة لا تكون مقبولة إلا إذا كانت خالصة له سبحانه، على وفق ما شرعه، والمسلم قد ينشأ في بيئة ويرى أن مجتمعه يقوم ببعض الأعمال على أنها عبادة مشروعة، وهو لا يعلم مدى شرعيتها، وإنما وجد مجتمعه يقوم بها فإن أخذ بهذا المبدأ فربما كانت بعض عبادته غير شرعية، ولذا كان لزاماً على المسلم أن يتحقق من مشروعية العمل الذي يقوم به حتى يكون متقبلاً عند الله تعالى حائزاً على الأجر الذي يطمح إليه كل مسلم.

سبب اختيار الموضوع:

وسبب اختياري لهذا الموضوع أن كثيراً من المسلمين يقومون في المسجد الحرام ببعض الأفعال والتي منها الوقوف بالملتزم ومد الأيدي إلى الأعلى والدعاء في هذا المكان فحاورت نفسي هل هذا العمل من الأمور التي ورد الشرع بها أم إنه من الأمور التي أحدثها الناس في دين الله؟ من أجل ذلك جاء هذا البحث بعنوان (**البيان المحكم في حكم الملتزم**) ليزيل هذا الاستفهام في نفسي، بعد أن أمضيت فيه وقتاً غير قليل حاولت جاهداً أن أجمع ما يتعلق به من أحكام، فأهمية هذا الموضوع في حياة المسلمين لا تخفى وإيضاح الحكم الشرعي لمثل هذا

المكان من الكعبة المشرفة أمر جدير باهتمام الباحثين، فشرعت بعد إدراك أهمية الموضوع في جمع مادته العلمية بعد أن وضعت له هذه الخطة.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة.

المقدمة: وفيها الاستهلال، وسبب اختيار الموضوع، وخطة البحث، والمنهج المتبع فيه.

تمهيد: في ذكر خصائص البيت الحرام.

الفصل الأول: بيان حقيقة الملتزم، وفضله، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الملتزم.

المبحث الثاني: مسميات الملتزم.

المبحث الثالث: مكان الملتزم وحدوده.

المبحث الرابع: فضل الملتزم،والوقوف به.

الفصل الثاني: حكم الوقوف في الملتزم، وبيان وقته، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: حكم الوقوف في الملتزم.

المبحث الثاني: زمن الوقوف في الملتزم.

الفصل الثالث: صفة الوقوف في الملتزم، والدعاء فيه، وآدابه، وضوابطه، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: صفة الوقوف في الملتزم.

المبحث الثاني: صفة الدعاء في الملتزم.

المبحث الثالث: آداب الدعاء في الملتزم.

المبحث الرابع: ضوابط الدعاء في الملتزم.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي خلصت إليها من خلال هذا البحث.

منهج البحث:

بعد وضع خطة البحث بدأت بالتنسيق،والترتيب،والتدوين لهذه المادة العلمية متبعاً المنهج التالي:

أولاً: جمعت ما ورد في هذا الموضوع، حسب الإمكان من نصوص الكتاب، والسنة، وكتب أهل العلم رحمهم الله، ذاكراً الأقوال في المسألة، مبتدئاً بالقول الراجح، مبيناً أدلة كل قول، والترجيح بينها، مع بيان سبب الترجيح.

ثانياً: عزوت الآيات القرآنية بذكر اسم السورة، ورقم الآية المستشهد بها.

ثالثاً: قمت بتخريج الأحاديث النبوية من مصادرها، فإن كان الحديث في الصحيحين، أو أحدهما اكتفيت بعزوه إليهما، أو إلى أحدهما، وإن كان في غيرهما قمت بتخريجه من مصدره في كتب السنة، مرتباً هذه الكتب حسب وفاة مؤلفيها، وذكرت صحة الحديث، أو ضعفه معتمداً في ذلك على أهل الاختصاص.

رابعاً: وثقت الأقوال من الكتب المعتمدة في كل مذهب، مورداً نصاً مقتبساً يؤيد ما ذكرته عنهم من هذا القول، مشيراً في الهامش إلى أكثر من مرجع.

خامساً: اعتنيت بشرح الكلمات اللغوية، والاصطلاحية بالرجوع إلى كتب اللغة، والمصطلحات العلمية.

سادساً: ترجمت للأعلام الذين ورد ذكرهم في البحث، ما عدا صحابة رسول الله ﷺ رضي الله عنهم، والأئمة الأربعة رحمهم الله.

والله تعالى أسأل أن يحقق النفع في هذا البحث المتواضع، والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

تمهيد

خصائص البيت الحرام

خلَق الله تعالى هذا الكون بقدرته، وأوجد فيه كثيراً من الكائنات متفاوتة في قدرها، وعلو مكانتها، وانفرد سبحانه باختيار واصطفاء بعض أفراده كما قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1] وهذا الاختيار دال على ربوبيته، ووحدانيته سبحانه، وكمال حكمته، وعلمه وقدرته، فهو المنفرد بالخلق فلا أحد يخلق كخلقه، أو يختار كاختياره، يصطفى مما يخلق ما يشاء.

ومن تفضيل الله تعالى واختياره تفضيله سبحانه بعض الأماكن على بعض، وجعله ذلك المكان ليس كغيره من الأمكنة الأخرى، وإفراده سبحانه بعضها بأحكام تخصها، ومن أعظم هذه الأمكنة حرمة و تفضيلاً البلد الحرام، الذي اختاره، واختصه بصفات يتميز بها عن غيره من البقاع، فمن ذلك:

أولاً: أن الله تعالى أقسم بهذا البيت في كتابه العزيز في موضعين، وإقسام الله بالشيء يدل على شرف المقسم به، وعظيم شأنه:

أما الموضع الأول: فهو قوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾[2].

قال الإمام أبو عبدالله محمد القرطبي رحمه الله[3]: (قوله : وهذا البلد الأمين : يعني

---

(١) سورة القصص آية ٦٨.

(٢) سورة التين آية ١-٣

(٣) هو أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي القرطبي، لم تعرف سنة ولادته، كان من العلماء العارفين، الورعين، صنف كثيراً من الكتب، من أشهرها تفسيره للقرآن المشهور بالجامع لأحكام القرآن، توفي بمصر سنة ٦٧١هـ، الديباج المذهب لابن فرحون٣١٧، نفح الطيب للتلمساني ٧/ ٢١١، شجرة النور الزكية لمخلوف ١٩٧.

مكة. سماه أميناً؛ لأنه آمن، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ (١)، فالأمين بمعنى الآمن)(٢).

وقال الحافظ أبو الفداء ابن كثير رحمه الله(٣): (وهذا البلد الأمين) يعني مكة، قاله ابن عباس، ومجاهد (٤)، وعكرمة (٥)...، ولا خلاف في ذلك(٦).

فالله تعالى ذكر في هذه السورة ثلاثة أمكنة فاضلة بعث في كل واحد منها نبياً مرسلاً من أولي العزم، أصحاب الشرائع الكبار:

فأولها: مكان التين والزيتون: وهو بيت المقدس الذي بعث فيه نبي الله عيسى بن مريم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم.

---

(١) سورة العنكبوت آية ٦٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي٢٠/ ١١٣، وهكذا ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٩/ ١٧٠، وانشوكاني في فتح القدير ٥/ ٤٦٥.

(٣) هو أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الشافعي، ولد بقرية شرقي بصرى من أعمال دمشق سنة ٧٠١هـ، كان قدوة العلماء الحفاظ،سمع، ودرس، وحدث، وألف مصنفات عديدة مفيدة، توفي يوم الخميس سنة ٧٧٤هـ وقد رثاه بعض طلبته، (تذكرة الحفاظ للذهبي ٤/ ١٥٠٨، والنجوم الزاهرة للأتابكي١١/ ١٢٣).

(٤) هو أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكي، مولى السائب بن أبي السائب، كان فقيهاً، عالماً، ثقة، كثير الحديث، ذا شأن في التفسير، يقول عن نفسه: عرضت القرآن على ابن عباس رضي الله عنهما ثلاثين مرة، توفي سنة ١٠٣هـ، وله ٨٣ سنة، (الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/ ٤٦٦، سير أعلام النبلاء للذهبي٤/ ٤٤٩).

(٥) هو أبو عبدالله عكرمة القرشي مولاهم البربري الأصل، الحافظ، المفسر، أحد تلاميذ ابن عباس رضي الله عنهما، كان ابن عباس رضي الله عنهما يعلمه القرآن والسنة، يقول عنه ابن عباس رضي الله عنهما: ما حدثكم عني عكرمة فصدقوه؛ فإنه لم يكذب علي، توفي بالمدينة سنة ١٠٥هـ، وهو ابن ٨٠ سنة. (الطبقات لابن سعد٥/ ٢٨٧، حلية الأولياء للأصفهاني٣/ ٣٢٦).

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨/ ٤٥٦.

ثانيها: طور سينين، وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه نبيه موسى بن عمران عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

ثالثها: مكة، وهو البلد الأمين الذي أرسل منه نبينا محمد ﷺ[١].

أما الموضع الثاني: الذي أقسم الله تعالى فيه بمكة فهو قوله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾[٢].

قال الإمام أبو عبدالله محمد القرطبي رحمه الله: (و"البلد" هي مكة، وأجمعوا عليه، أي أقسم بالبلد الحرام الذي أنت فيه، لكرامتك علي، وحبي لك)[٣].

وقال الحافظ أبو الفداء بن كثير رحمه الله: (هذا قسم من الله عز وجل بمكة أم القرى في حال كون الساكن فيها حلالاً، لينبه على عظمة قدرها في حال إحرام أهلها)[٤].

وقال العلامة محمد الشوكاني[٥] رحمه الله: (والمعنى أن الله لما ذكر القسم بمكة دل ذلك على عظم قدرها، مع كونها حراماً، فوعد نبيه ﷺ أن يحلها له حتى يقاتل فيها، ويفتح على يديه...)[٦] والله تعالى له أن يقسم بما يشاء من خلقه، وإذا أقسم الله بشيء دل على فضل المقسم به.

ثانياً: أن الله تعالى أخبر أن مكة أم القرى، فالقرى تبع لها،وفرع عنها، وهي أصل القرى،

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨/ ٤٥٧،والجامع لأحكام القرآن للقرطبي٢٠/ ١١٣.

(٢) سورة البلد آية ١، ٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠/ ٦٠،وقد ذكر أقوالاً في حرف "لا" الوارد قبل "أقسم" وهكذا الشوكاني في فتح القدير٥/ ٤٤٢.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨/ ٤٢٤.

(٥) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، ولد بهجرة (شوكان) باليمن سنة ١١٧٢هـ نشأ بصنعاء، كانت نشأته على العفاف، والطهارة، ولي قضاء صنعاء سنة ١٢٢٩ هـ له جمع من المؤلفات، توفي رحمه الله سنة ١٢٥٠هـ بصنعاء (التاج المكلل لصديق خان ٤٤٣، هدية العارفين للبغدادي ٢/ ٣٦٥).

(٦) فتح القدير للشوكاني٥/ ٤٤٣.

فيجب ألا يكون لها في القرى عديل، يقول تعالى في وصفها بذلك: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[١]، وإنما سميت أم القرى؛ لأنها أقدم القرى، وأشهرها، وما تقرت القرى في بلاد العرب إلا بعدها فسماها العرب بذلك الاسم[٢]، وسبب تلك التسمية أن الأرض من مكة فمدها الله تعالى من تحتها فسميت أم القرى)[٣].

ثالثاً: اختيار الله تعالى لمكة أن تكون البلد الذي يبعث منها خاتم الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، إذ كانت هذه البلاد منطلق الرسالة فاستمر ﷺ في الدعوة إلى الإسلام في مكة ثلاث عشرة سنة إلى أن أذن الله له بالهجرة إلى المدينة النبوية[٤].

رابعاً: جعل الله سبحانه وتعالى هذا البلد منسكاً لعباده، فلا يدخلونه إلا متواضعين متخشعين متذللين، كاشفي رؤوسهم، متجردين عن لباس أهل الدنيا.

خامساً: أن أول مسجد وضع في الأرض كان بمكة فعن أبي ذر رضي الله عنه قال سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع في الأرض؟ فقال: (**المسجد الحرام**) قلت: ثم أي؟ قال: (**المسجد الأقصى**) قلت: كم كان بينهما؟ قال: (**أربعون عاما**)[٥].

سادساً: أن الله تعالى جعل في قصد البيت الحرام للنسك تكفيراً للذنوب، و محياً للأوزار،

---

(١) سورة الأنعام الآية ٩٢.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ٤/ ٢٧٢.

(٣) شفاء الغرام للفاسي ١/ ٤٨.

(٤) ينظر صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب كم أقام النبي ﷺ بمكة والمدينة، صحيح مسلم ٧/ ٨٧.

(٥) متفق عليه، فقد رواه البخاري في كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى "ووهبنا لداود سليمان" صحيح البخاري ٤/ ١٣٦، ورواه مسلم في كتاب المساجد في فاتحة الكتاب، صحيح مسلم ٢/ ٦٣.

وحطاً للخطايا، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**)[١]. فليس على وجه الأرض موضع يشرع تقبيله غير الحجر الأسود، كما يشرع استلام هذا الحجر والركن اليماني[٢]، وعندهما تحط الخطايا والأوزار، فعن عبيد بن عمير[٣] أن ابن عمر كان يزاحم على الركنين زحاماً، ما رأيت أحداً من أصحاب النبي ﷺ يفعله. فقلت: يا أبا عبدالرحمن إنك تزاحم على الركنين زحاماً ما رأيت أحداً من أصحاب النبي ﷺ يزاحم عليه. فقال: إن أفعل، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إن مسحهما كفارة للخطايا...**)[٤].

سابعاً: أن الله تعالى جعل البيت الحرام قبلة لأهل الأرض كلهم، فليس على وجه الأرض قبلة غيرها،يقول تعالى في شأن رغبة المصطفى ﷺ في أن تكون هي القبلة التي يتوجه إليها: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ

---

(١) رواه مسلم في كتاب الحج، باب فضل الحج والعمرة وعرفة، صحيح مسلم ٤/ ١٠٧.

(٢) ينظر صحيح مسلم، كتاب الحج، باب استحباب استلام الركنين اليمانيين في الطواف دون الركنين الآخرين ٤/ ٦٥.

(٣) هو أبو عاصم عبيد بن عمير بن قتادة الليثي المكي، ولد على عهد النبي ﷺ قاله مسلم، وعده غيره في كبار التابعين، وكان قاص أهل مكة، مجمع على ثقته، مات قبل ابن عمر (تقريب التهذيب لابن حجر ١/ ٥٤٤).

(٤) رواه عبدالرزاق في مصنفه، باب فضل الطواف واستلام الحجر وفضله ٥/ ٢٩، والإمام أحمد في مسنده بلفظ (**إن مسح الركن اليماني والركن الأسود يحط الخطايا حطاً**) ٩/ ٤٤٢، وقال محققوه: إسناده حسن، والترمذي، كتاب الحج، باب ما جاء في استلام الركنين، وقال: حديث حسن واللفظ له، سنن الترمذي ٣/ ٢٩٢، والنسائي، كتاب المناسك، باب فضل الطواف بالبيت، سنن النسائي٥/ ٢٢١، ولم يورده الألباني في كتابه ضعيف سنن النسائي.

أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾[١].

ثامناً: أن الصلاة في المسجد الحرام، أفضل من الصلاة في غيره من المساجد كما في حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: (**صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف فيما سواه إلا المسجد الحرام**)[٢].

تاسعاً: أن الرسول ﷺ أقسم بأن هذه الأرض من أحب البقاع إلى الله تعالى، وبين أنه لم يرغب الخروج منها، لولا أنه قد ضيق عليه في دعوته، وأذن الله له في الهجرة، فقد قال عبدالله بن عدي بن الحمراء ﷺ قال: (رأيت رسول الله ﷺ واقفاً على الحزورة[٣] وهو يقول: (**والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت**)[٤].

عاشراً: أن هذا البيت بحيال البيت المعمور، بحيث لو سقط لسقط عليه، وكذلك معابد السموات السبع، فعن قتادة قال: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال يوماً لأصحابه: (**هل تدرون ما البيت المعمور؟**) قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: (**فإنه مسجد في السماء بحيال**

---

(١) سورة البقرة الآية ١٤٤.

(٢) متفق عليه، فقد رواه البخاري في كتاب الصلاة،باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، صحيح البخاري ٢/ ٥٦، ورواه مسلم في كتاب الحج، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة، صحيح مسلم ٤/ ١٢٤.

(٣) هو موضع بمكة عند باب الحناطين، وهو بوزن قسورة، وأصل الحزورة: الرابية الصغيرة، وتجمع على حراوز. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير١/ ٣٨٠، لسان العرب لابن منظور ٤/ ١٨٦.

(٤) رواه الإمام مالك في الموطأ، باب الجهاد ١٢٣، وابن ماجة في المناسك، باب ما جاء في فضل مكة، سنن ابن ماجة ٢/ ١٠٣٧، والترمذي في المناقب، باب ما جاء في فضل مكة، وقال: حديث حسن غريب صحيح سنن الترمذي ٥/ ٧٢٢، وقال محقق جامع الأصول: إسناده صحيح ٩/ ٢٩٢.

الكعبة، لو خر لخر عليها، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا منه لم يعودوا آخر ما عليهم)[١] كما قال بعض السلف: إن في كل سماء بيتاً يعبد الله فيه أهل كل سماء، وهو فيها كالكعبة لأهل الأرض[٢].

حادي عشر: أن الله تعالى أضاف هذا البيت لنفسه كما قال سبحانه: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[٣] فكل ما أضافه الرب تعالى إلى نفسه، فله من المزية والاختصاص على غيره ما أوجب له الاصطفاء و الاجتباء[٤].

ثاني عشر: أن الدجال لا يدخل هذا المكان الفاضل حين يخرج في آخر الزمان؛ لورود الأحاديث الصحيحة في ذلك، كما في حديث فاطمة بنت قيس ﷺ الطويل وفيه: (وإني مخبركم عني، أنا المسيح، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج، فأخرج فأسير في الأرض، فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة فهما محرمتان عليّ كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة، أو واحداً منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتاً يصدني عنها، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها...)[٥].

---

(١) أورد الحافظ ابن كثير بعض الروايات الضعيفة في ذلك في البداية والنهاية ١/ ٩٣، قال الشيخ الألباني: وهذا إسناد مرسل صحيح، رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين، غير بشر وهو ابن هلال الصواف فمن رجال مسلم وحده، وجملة القول: أن هذه الزيادة "حيال الكعبة" ثابتة بمجموع طرقها، وأصل الحديث أصح، وقد أورد بعض الروايات الضعيفة، سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ١/ ٢٣٧.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ١/ ٣٧٨.

(٣) سورة الحج آية ٢٦.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم ١/ ٥٢.

(٥) رواه مسلم،كتاب الفتن، باب في خروج الدجال، صحيح مسلم ٨/ ٢٠٥.

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول ﷺ: (ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة، وليس نقب من أنقابها إلا عليه الملائكة صافين تحرسها فينزل بالسبخة فترجف المدينة ثلاث رجفات يخرج إليه منها كل كافر ومنافق)[١].

ثالث عشر: أن الله عز وجل امتن على عباده المؤمنين بهذا البيت المشرف، بما خصه من أمن في رحابه، وسعة في أرزاقه فقال سبحانه: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٢].

فالله تعالى جعله حرماً آمناً، لا يسفك فيه دم، ولا تعضد به شجرة، ولا ينفر فيه صيد، ولا يختلى خلاه، ولا تلتقط لقطته فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة: (... إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شوكه، ولا ينفر صيده، ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها، ولا يختلى خلاها...) الحديث[٣].

كما أنه ﷺ بين في صلح الحديبية أنه سوف يعطي المشركين ما يطلبون ما دام في ذلك تعظيماً لحرمات البيت العتيق، فقال: (والذي نفس محمد بيده لا يسألوني خطة[٤] يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها)[٥].

---

(١) رواه مسلم كتاب الفتن، باب في خروج الدجال، صحيح مسلم ٨/ ٢٠٦.

(٢) سورة القصص آية ٥٧.

(٣) متفق عليه واللفظ لمسلم، فقد رواه البخاري في كتاب العلم، باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب، صحيح البخاري١/ ٣٤، ورواه مسلم في كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها إلا لمنشد على الدوام، صحيح مسلم ٤/ ١٠٩.

(٤) الخطة الحال والأمر، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير٢/ ٤٨.

(٥) سيرة ابن هشام ٣/ ١٩٨، البداية النهاية لابن كثير٦/ ٢٠٩.

وقد غضب المصطفى ﷺ حينما قال سعد بن عبادة لأبي سفيان يوم فتح مكة: (اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الكعبة) فنزع منه الراية وأعطاها ابنه قيساً[١] وقال: (هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة، ويوم تكسى فيه الكعبة) [٢].

وقد اختلف العلماء رحمه الله في مكة هل صارت حرماً آمناً بسؤال نبي الله إبراهيم عليه السلام، أو كانت قبله كذلك على قولين هما:

القول الأول: أنها لم تزل حرماً من الجبابرة المسلطين، ومن الخسوف والزلازل، والمثلات التي تحل بالبلاد، وجعل في النفوس المتمردة من تعظيمها والهيبة لها ما صار به أهلها متميزين بالأمن من غيرهم من أهل القرى، وإنما سأل نبي الله إبراهيم ربه أن يجعلها آمنة من القحط والغارات، وإن يرزق أهلها من الثمرات.

القول الثاني: أن مكة كانت حلالاً قبل دعوة إبراهيم عليه السلام كسائر البلدان، وبدعوته صارت حرماً آمناً كما صارت المدينة بتحريم رسول الله ﷺ محرمة بعد أن كانت حلالاً[٣].

ولكل من القولين أدلته، ولكن ليس هذا محل بحثها، لا سيما وأنها على كلا القولين محرمة منذ ذلك الوقت سواء كان التحريم بعد دعاء نبي الله إبراهيم عليه السلام بتحريمها أم قبل ذلك فالخلاف لا ثمرة له في هذا الوقت فالجميع متفقون على أن تحريم مكة زادها الله تشريفاً منذ أزمنة بعيدة.

---

(١) اختلف فيمن أخذ الراية بعده، سيرة ابن هشام٤/ ٣٦، فتح الباري لابن حجر ٨/ ٩.

(٢) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح، صحيح البخاري ٥/ ٤٨، ينظر كذلك سيرة ابن هشام ٤/ ٣٦، البداية النهاية لابن كثير ٦/ ٥٥٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي٢/ ١١٧.

فلو لم تكن هذه البلاد خير بلاده، وأحبها إليه، ومختاره من البلاد لما جعل عرصاتها مناسك لعباده، فرض عليهم قصدها، وجعل ذلك من آكد فروض الإسلام، وقد ظهر سر هذا التفضيل والاختصاص لهذا المكان في انجذاب الأفئدة، وهوى القلوب وانعطافها ومحبتها لهذا البلد الأمين، يثوبون إليه على تعاقب الأعوام، من جميع الأقطار، لا يقضون منه وطراً، بل كلما ازدادوا له زيارة، ازدادوا له اشتياقاً، كم ينفق المشتاقون إليه من الأموال والأرواح، ويرضون لزيارته بمفارقة الأهل والأولاد، والأصحاب والأوطان[1].

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم١/ ٤٦، بتصرف.

الفصل الأول

بيان حقيقة الملتزم، وفضله

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الملتزم.

المبحث الثاني: مسميات الملتزم.

المبحث الثالث: مكان الملتزم وحدوده.

المبحث الرابع: فضل الملتزم والوقوف به.